المحاضرة الأولى: ماهية الهوية

يعد مفهوم الهوية من المفاهيم التي أثارت جدلا واسعا في الفكر السياسي المعاصر بين التيارات الفكرية، وتحديد مفهوم موحد لها أصبح من أهم القضايا التي يجب أن يفتح حولها نقاش جدي وفعال في الوقت الراهن، سواء على المستوى السياسي أو على المستوى الثقافي والاجتماعي، فالهوية هي الوعي بالذات الحضارية، والاعتزاز بها والإعلان عنها والعمل على تطويرها وتمكينها في كافة مجالات الحياة، في انجازات وإضافات حضارية متجددة، لخدمة وتطوير الحياة الإنسانية.

تعد الهوية أساس صناعة الحضارة الإنسانية وتطويرها، بداية بالوعي بالذات الخاصة وإمكانياتها المتاحة والمتوقعة، ثم استشراف المكانة المستقبلية، والمشاركة في فرض واقع حضاري جديد، وبالتالي فهي تطوير للمنتجات الحضارية للشعوب بتحديد البوصلة والوحدة والاحتشاد الذي يحقق المصالح العليا.

أولا- معنى الهوية:

1-المعنى اللغوي:

إن مفهوم الهوية من ناحية الدلالة اللغوية فهي كلمة مركبة من ضمير الغائب "هو" مضاف إليه ياء النسبة لتدل الكلمة على ماهية الشخص أو الشيء المعني ، كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يعرف بها ، ولا يمكن معرفة هوية أي إنسان من دون الصفات التي تخصه دون سواه.

وعند تتبع معاني اللفظ في الأدبيات المعاصرة نجد أن كلمة هوية تستعمل لأداء معنى كلمة (Identity-Identité) في اللغتين الانجليزية والفرنسية على التوالي والتي تعبر عن معنى المطابقة أي مطابقة الشيء لنفسه أو مطابقة لمثله.

2- المعنى الاصطلاحي:

تعاني المفاهيم في العلوم الإنسانية بصورة عامة والعلوم الاجتماعية والسياسية بصورة خاصة من إشكالية في التعريف وتحديد المعنى باختلاف الزمان والمكان أو اختلاف المنطلقات الفكرية التي تتناول هذا المفهوم أو ذاك أو المجال المعرفي والعلمي في البحث والدراسة ، ومفهوم الهوية كما يقول هنتنغتون " لا يستغنى عنه وفي الوقت نفسه غير واضح وعلى الرغم من البساطة الظاهرية لهذا المفهوم ، فانه وعلى خلاف ذلك يتضمن درجة عالية من الصعوبة والتعقيد ، وذلك لأنه بالغ التنوع في دلالالته واصطلاحاته ، وهناك أراء تذهب إلى أن مفهوم الهوية على قدر كبير من الأهمية ، والذي أثار ولا يزال جدلا واسعا في صفوف المثقفين والساسة ، ليس فقط فيما يخص بتعريف المفهوم بل حتى فيما يتعلق بوجوده ، لذلك نتناول موضوع الهوية بالبحث والدراسة في بعض الحقول المعرفية ومنها:

في الفلسفة وتعني الهوية الماهية أي جوهر الشيء وحقيقته ، ومنه جاء التعريف المنطقي في الفلسفة القديمة للحدود بالماهية لا بالعرض ، ويختلف معنى الهوية من فيلسوف إلى أخر ومن مرحلة تاريخية إلى أخرى ، يختلف باختلاف الأنساق الفلسفية والفكرية والإيديولوجية ويتكون تبعا للسياقات تاريخية التي عرفها الفكر الإنساني.

وفي علم الاجتماع ترتبط الهوية بالمجتمع وتتحدد به وهي ظاهرة اجتماعية تحدد ماهية المجتمع ليدل على انه تركيبة بشرية مكوناتها كثيرة متداخلة ومتشابكة ، تركيبة متطورة باستمرار ، فيها الثابت وفيها المتحول ، وهوية المجتمع وهوية الفرد جزء منه تتحدد بالعناصر الاجتماعية الثابتة في المجتمع ، والتي لا يوجد من دونها ، وهي عناصر اجتماعية ، سياسية ، اقتصادية وثقافية وغيرها.

أما في السياسة يختلف مفهوم الهوية من اتجاه إلى أخر وما أكثر الاتجاهات السياسية ، وبالتالي تتعدد وتتنوع الهويات بحسب مقوماتها التي هي مقومات الأمة ، فتعدد الهويات وتتباين بتعدد وتباين اللغات والثقافات والجغرافيا والتاريخ ، قد تتحدد الهوية بمقوم واحد وقد تتحدد بأكثر من مقوم ، فالأمة الإسلامية هويتها تقوم على الدين الإسلامي ، وداخل الأمة الإسلامية توجد هويات كثيرة مثل الهوية السنية ، الشيعية ، الكردية وغيرها ، ففي الغرب تتحدد الهوية بالوطن واللغة فعرفت أوربا الهوية الفرنسية والهوية الانجليزية والهوية الاسبانية وغيرها.

وفي علم النفس ترتبط الهوية بالشخصية التي تتحدد بجانبين أساسيين ، جانب يتميز بالكثرة والتغير ويخص مكونات الشخصية النفسية والاجتماعية والبيولوجية ، وكل ماهو قابل للزيادة والنقصان ، وجانب يتميز بالوحدة والثبات ويخص الأنا والذات التي تتغير ولا تزول.

جاء مفهوم الهوية كمعظم المفاهيم في العلوم الإنسانية غامضا و واسعا تعددت فيه التعريفات و التفسيرات من بين كل هذه التعريفات نذكر

-**تعريف إيريك إيركسون**:" تلك الشخصية التي تميز الفرد من حيث فلسفته الأخلاقية والعقلية، التي يشعر عندها انه نشيط جدا وأنه موجود، و كأن صوتا داخليا يناديه "هذا أنا "."

-**تعريف الكفومي**:" الهوية تطلق على ثلاث معان: التشخص والشخص نفسه والوجود الخارجي ".

- **تعريف بول مسن:**" إن الإحساس بالهوية يعطي المراهقين إحساسا بالتفرد والتميز وكلمة التفرد تتضمن احتياجات عالمية لتحقيق الشخص لذاته كشخص مختلف عن الآخرين ولا يكترث بمشاركة الناس في هواياتهم وقيمهم واهتماماتهم."

وانطلاقا مما سبق ، فان مفهوم الهوية هو مفهوم إشكالي ، لان للهوية أبعادا شائكة ومتداخلة فيما بينها تتصل بالحقل الفلسفي والمعرفي والسياسي والتاريخي ، علاوة على عوامل أخرى تتفاعل مع الهوية كاللغة والإيديولوجية والتراث والدين ، وهذه الإشكالية تزداد في مرحلة العولمة المعاصرة التي فرضت على هذا العالم ألوانا متنوعة من التحولات والمتغيرات الكمية والنوعية المتسارعة ، وبالتالي فان فهم واستيعاب مفهوم الهوية أو تعريفها بصورة محددة يختلف من باحث لأخر ، وهذا ما يضعنا أمام عدة تعريفات ، تختلف فيما بينها ، إلا أنها تجتمع في الإطار العام على أن الهوية : هي تعايش واتفاق مجموعة من البشر على مجموعة من المعتقدات والأفكار والمفاهيم والعادات والتقاليد التي تحكم وتنظم نمط حياتهم اليومي ، فتميزهم عن بقية من حولهم ، فهم يعتقدون بمنظومة معينة من القيم والشعائر والمفاهيم ، ويمارسونها في حياتهم اليومية البينية والخارجية مع الغير ويعتقدون بقيمة ومكانة أشخاص معينين يمثلون أعلاما سياسية وعلمية ودينية وثقافية ....الخ

ثانيا- عناصر ومصادر الهوية:

1-الدين واللغة : يعد الدين من المصادر الهامة في بلورة الهوية فكثير من المجتمعات تتحصن به لتجنب التغيرات المتسارعة، والتي لا تستطيع هذه المجتمعات مواكبتها والانخراط فيها ، أما اللغة بالإضافة إلى دورها المهم كأداة للتخاطب ونقل المعرفة ، فهناك اللغة الرسمية المعتمدة للمجتمع ، وبقية اللغات الأخرى التي يتحدث بها المجتمع والتي نص عليها الدستور.

2- التاريخ والثقافة : التاريخ ويشتمل على الأصول التاريخية ، والإحداث والآثار التاريخية ، بالإضافة إلى الدين واللغة والتاريخ ، تعد الثقافة الجزء المكتسب في بنية الهوية والأكثر ديناميكية ، نتيجة العضوية في المجتمع ، وتعتبر درجة انتقاء الفرد من الموروث الثقافي بواسطة العمليات الاجتماعية محددا جوهريا وأساسيا للهوية.

ثالثا- مستويات الهوية:

ركز **صامويل هنتغتون** على أهم العناصر والسمات التي تستقي منها الهوية حيويتها، وحددها في مجموعة من السمات نذكر منها:

السمات الشخصية: وتشمل العمر السلالة الجنس ، القرابة (قرابة الدم).

السمات الثقافية العشيرة القبيلة : اللغة ، الدين ، الحضارة.

السمات الإقليمية: الجوار ، القرابة ، البلدة ، المدينة ، الإقليم ، المنطقة.

السمات السياسية : القائد ، الزمرة ، الجماعة ذات مصلحة معينة ، الإيديولوجية ، الدولة.

السمات الاقتصادية: الوظيفة ، مجموعة العمال ، القطاع الاقتصادي ، الطبقة.

السمات الاجتماعية: الفريق ، النادي ، المكانة الاجتماعية.

إن هاته المصادر المتنوعة قد تكون هي بتفاعلاتها مصادر هوية الفرد البارزة والتي قد يستمد الفرد هويته من احدها ، فمثلا قد تكون الأسرة هي مصدر هوية الفرد ، أو الأحزاب السياسية ، أو منظمات المجتمع المدني أو جماعة الرفقاء.

بناء على ما سبق تصنف الهوية إلى ثلاثة مستويات وهي:

أ. المستوى الفردي: هو شعور الفرد بالانتماء إلى الجماعة في إطار إنساني أكبر يشاركه في منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات، والهوية بهذا المعنى حقيقة فردية نفسية ترتبط بالثقافة السائدة وعملية التنشئة الاجتماعية، وبرز هذا المستوى بصورة أوضح مع بروز النزعة الفردانية.

ب. المستوى الجمعي: وتمثل أو تجسد الهوية في شكل تنظيمات وأحزاب وهيئات شعبية ذات طابع تطوعي واختياري.

ج. المستوى القومي(الهوية القومية): التي تتصدر ككل هوية قومية من منابع كيان الإنسان من حيث هو فرد في جماعة يشاركها لغتها وتقاليدها وآمالها وآلامها. ويمكن إضافة: **المستوى المؤسساتي والقانوني** أو ما يسمى مأسسة الهوية

، أي خضوعها لمؤسسة سواء كانت صغيرة أو متوسطة أو كبيرة، مثلاً نادي رياضي حزب سياسي أو دولة معينة أو منظمات دولية أو غيرها.